من التعددية السياسية... الى حرية الصحافة وتعددها

الطاهر بن خرف الله
أستاذ العلوم السياسية والاتصال
بمعهد علوم الاعلام والاتصال
جامعة الجزائر.

هل يمكن أن تستثني رياح التغيير في العالم بلدنا الجزائر؟ وهل يمكن أن تتنفس كافة شعوب العالم الهواء بكل حرية دون أن يكون لنا نصيب منها؟

لقد أبت هذه الريح الا أن تعصف بقوة وأن تلد في ظرف سنة ونصف أكثر من ثلاثين جمعية سياسية ذات قوة متفاوتة وأكثر من 100 جمعية غير سياسية وأن تحمل حرية في كل شيء، وتعددا في أي شيء يصعب التراجع عنها شئنا أم أبينا، فما علينا اذا الا أن نحسن توظيف هذه اللحظة التاريخية العظيمة التي تشهد هبوب الديمقراطية على مستوى العالم.

لقد كشفت الأحداث الأخيرة في العالم وحتى عندنا في الجزائر عن مدى الجوع الديمقراطي الذي عانت منه شعوب المعمورة ونعانيه نحن في الوطن العربي... كما كشفت هذه الاحداث عن الشوق الى الحرية الحقيقية التي تقوم على مبادئ صحيحة كرضى المجموع وهنائته واحترام حقوق كل فرد وكل شعب... الحرية التي خنقتها زمرة خرج معظم رجالها من صفوف الدهماء، ناقصي العلم، موتورين غلاظ الاكباد، خلت نفوسهم إلا من الشهوات فصح فيهم قول شكسبير: «أسهل عليك أن تجد الحليب في ثدي النمرة من أن تجد الرأفة في قلوبهم» هؤلاء الذين استبدلوا الديمقراطية بالاوتوقراطية لزمن طويل، وشتان بين الاتوقراطية والديمقراطية فالخلاف بين هاتين ليس سببه العميق تحديد تخوم واستثمار سكة حديد واشتراك أو عدم اشتراك في مجلس الادارة. وان شئت فقل بين دينين، الحديث منها يسعى لهدم العتيق، عالم جديد يهاجم عالم قديم.

فالديمقراطية تقتضي أن يكون صناع القرار دائما على اتصال بالرأي العام.

ولنرجع الى موضوعنا، فما هي العلاقة بين التعددية السياسية... وحرية الصحافة وتعددها؟ ولاكتشاف هذه العلاقة ارتأينا أن نعالج الواحدة تلو الاخرى مع اثارة نقاط الترابط في كل مرة.

Scanned by DocumentScanner | Lufick

يقصد بالتعدد السياسي **political pluralism** :

وجود جماعات متميزة أو قطاعات لها فلسفات ومداخل متميزة للسياسة العامة. ويتجسد هذا التعدد في وجود الاحزاب السياسية وغير ذلك من الجماعات، أو الجمعيات ذات الطابع السياسي كما سيمت من قبل الى أن أصبحت تسمى أحزابا.

وهكذا يوجد أمام الجماهير خيارات وبدائل مختلفة ومتنوعة بامكانه أن يختار الواحدة دون الاخرى، وبعض هذه الجماعات يقيم علاقات معينة بشكل مباشر أو غير مباشر مع الصحف، أو ينشئ هو بنفسه صحفا تنطق بلسانه مثل ما فعلت الجبهة الإسلامية للانقاذ أخيرا، حين أصدرت جريدة «المنقذ» وتلاها حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية كما سيأتي فيما بعد.

واذا كانت القوانين قد ألغت الاحزاب هنا وهناك، وحرم على الصحافة ذكر أسمائها ورموزها لمدة تختلف من بلد الى آخر، الا أنها لا تزال حية في الضمائر، والذي لا تكتبه الاقلام تقوله الألسنة في الشارع، في المقهى أو حتى أثناء النوم. فلماذا تطلع الحكومات على الشعوب بقوانين لا تقضي لبانة، ولا تنتج إلا تعلق الناس بما تحرمه وعطفهم على من أرادت النيل منهم. فبشرى اذا بالاحزاب وبشرى، بحرية الصحافة وحرية الرأي، لكن حذار من تعدد الارادات فمن أسباب تقهقر الديمقراطية تعدد الارادات فيها والبلاد التي تتعدد فيها الارادات لا ارادة لها، والارادة أحوج ما تحتاج إليه البلاد الديموقراطية الآن.

لقد ولدت الاصلاحات في الجزائر أربعة وثلاثين حزبا قائما يتمتع بالشرعية، وقد حصلت كلها على الاعتماد وتم الاعلان عنها بالجريدة الرسمية.

والباب لا يزال مفتوحا لمن يرغب في تشكيل حزب آخر اذا استوفى الشروط اللازمة، انها فرصة العمر؟

لم يحدث وأن هبت مثل هذه الديمقراطية على العالم خاصة العالم الثالث بما فيه العالم العربي. والحق أن وراء هذه الديمقراطية رجال لا يظهرون الا مرة في التاريخ فيجب الحرص عليهم كل الحرص. فعلى من يرغب في تطوير هذه الديمقراطية، أن يقدم كل المساعدة والدعم لهؤلاء الرجال حتى يمضوا بها قدما، ووجودهم على رأس الدولة يكفل الديمقراطية ويحميها من الاجهاض.

ودون الاسهاب في موضوع التعددية السياسية، ندخل في ماهية صحافة التعدد.

تشير صحافة التعدد The diverse press : الى وجود خصائص مميزة للصحف، اذ تختلف عن بعضها البعض في المضمون والنمط والاتجاه السياسي، وتسودها

Scanned by DocumentScanner | Lufick

الملكية الشخصية سواء كانت هذه الملكية في يد شخص واحد أو في يد جماعة ما. حسب القوانين والتشريعات المعمول بها والخاصة بكل بلد معين - وهي تعكس وجهات نظر متعددة، ولا يمكن هنا اعتبار صحافة الفئات الاجتماعية (شباب - ذكور - اناث - عمال - فلاحين الخ) ضمن الصحافة التعددية، لأنها جزء من الواحدة منها.

كما أن قراء هذه الصحف سيتعرضون لمعلومات متنوعة، أكثر من قراء صحف التعبئة وصحف الولاء. لأن عالم اليوم هو عالم الاتصال المفتوح والمعلومات المتدفقة... وعالم المخترعات الحديثة، التي تسمح لكل فرد بالتقاط ما يريد وسماع وقراءة حتى مالا يحب... وفي معظم الدول العاملة بنظام التعددية السياسية لا ضرورة لوزارة ترعى شؤون الاعلام فكل جهة لها حقها في اعلامها الخاص بها ضمن اطار المصلحة العامة.

وتختلف صحافة التعدد عن صحافة التعبئة وصحافة الولاء في كثير من النقاط: من حيث الخصائص ومن حيث الظروف السياسية.

والجدول التالي يوضح ذلك :

خصائص الصحافة	صحافة التعبئة	صحافة الولاء	صحافة التعدد
من حيث:			
- الملكية	أداة للنظام	خاصة	خاصة
- التنوع بين الصحف	عدم التعدد	عدم التعدد	التعدد
- الموقف من النظام	التأييد	التأييد	مع النظام تارة وضده تارة أخرى
			متقلبة حسب الظروف
- النمط والأسلوب	نشيطة وراضية	سلبية	
الظروف السياسية			
- الجماعة الحاكمة	ثورية	تقليدية	متعددة
- النقاش العام	منعدم	منعدم	نشيط
- المعارضة العامة	غير موجودة	غير موجودة	من خلال المؤسسات (أحزاب، جمعيات الخ)

Scanned by DocumentScanner | Lufick

وبصفة عامة فإن مميزات صحافة التعدد تتمحور خصوصا فيما يلي:

- ان عدد نسخ كل جريدة تابعة لهيئة معينة يكون منخفظا نتيجة انحصار عدد القراء، حتى يكاد بعضها يكون عبارة عن نشرة، وان عرفت في البداية سحبا واقبالا كبيرين.

- تعرف الصحافة التعددية فيما بينها منافسة شديدة. ولا تقوم احداها الا اذا كانت مصادر تمويلها قوية.

مساعدات الدولة لها تكون طفيفة وقد تنعدم أحيانا.

- تنتهج صحافة التعدد نهجا يتطابق تمام الانطباق ونهج الهيئة الصادرة ولا مكان للافكار المغايرة لنهج الحزب أو الجمعية أو الخط المرسوم لها.

- تساعد صحافة الرأي في تنوير الرأي العام واعطائه الصور المتناقضة لمجتمع ما. الخ...

- الملكية الخاصة في اطار الاشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين.

- لا يمكن للواحدة منها أن تقوم الا اذا بلغت من الموضوعية والمصداقية مبلغا يعطيها النفس الطويل.

وصحافة التعدد ترتبط كثيرا بحرية الصحافة - التي تعتبر من المواضيع الهامة التي شغلت الرأي العام والحكومات منذ اختراع الطباعة - والعلاقة بينهما وثيقة الى درجة أن احداهما لا يمكن أن تقوم الا بالاخرى.

ويقصد بحرية الصحافة: «أنها حرية الفرد في نشر ما يشاء بواسطة الجريدة أو الكتاب ويمكن الفرد من إبداء آرائه علنا والتعبير عن آفكاره عن طريق مقالات بالجرائد أو الكتب بقصد اطلاع الرأي العام على سير الحوادث».

لكن حرية الصحيفة يجب ألا يتعدا حدود حرية الغير وصح هنا قول «روكرت» **«لك عينان اثنتان وأذنان اثنتان، وليس لك إلا فم واحد فلك أن تنظر الى كل شيء، وتصغي الى كل شيء، ولكن عليك الا تقول إلا ربع ما ترى وتسمع».**

حرية الصحافة تسير مع حرية **التعبير وتعدد القنوات** فلا يمكن مثلا تصور برلمان حر وصحافة مقيدة أو العكس، فهذا بدعة في الحياة الديمقراطية، وحين تكون الصحف غير مقيدة ستتوالى الاحتجاجات على الحكومة، لكن على الحكومة أن

Scanned by DocumentScanner | Lufick

تتصرف بحنكة وتعقل وتريث لأن هذه الاحتجاجات ستساعدها على فهم ومعرفة ثغرات النظام فتسدها قبل أن تحدث الكارثة. كما يجب التفطن الى زعماء الدعايات الاجنبية الذين سيستغلون حرية الصحافة - خصوصا في بداياتها - بكل ما لديهم من وسائل لتفجير الاوضاع وزرع البلبلة.

في قيود الصحافة ... والتعبير

لم يتمتع الإنسان طوال حياته بالحرية الكاملة في التعبير عن كل ما يدور بخلده من أفكار وما يجيش في صدره من أحاسيس وانفاعالات.

وكان على الافراد أن يلتزموا بحدود من صنعهم... لهذا حرص الانبياء والرسل على التنويه بضرورة الاقلال من الكلام خشية الوقوع في الخطأ... كما أكثر الكتاب والشعراء والحكماء عبر العصور، من صياغة القيود المنظمة لحرية التعبير قبل أن تفرضها الشرائع الوضعية... لهذا ظل التوفيق في العصر الحديث بين حق الفرد في التعبير وحق الجماعة وسائر الافراد من أعسر وأصعب مهام المشرع في كل انحاء العالم بدون استثناء.

وحرية التعبير في أي دولة متحضرة هي أكثر الحريات شرعية، وأهمها حتمية لكل الناس،،، وتزداد أهمية التعبير بتطور المجتمع وتقدم التكنولوجيا وانتشار المعلومات.

ولكن لم تعد القضية الخلافية، تطرح كما يلي: أي الاشكال والانماط نتبع... لكنها أصبحت حتمية المشاركة في صنع مستقبلنا وصياغة حاضرنا... بديلا للانفراد بالحكم بهذه الحجة أو تلك!

والذي يدعم ذلك، أن الحقوق الديمقراطية ومبادئ التعددية السياسية وحرية الصحافة والاتصال أصبحت مصكوكة في التراث القانوني الانساني الشامل... عبر المواد 19، 20، 21 من الاعلان العالمي لحقوق الانسان والتي تنص على التوالي: «لكل شخص الحق في حرية اعتناق الاراء دون أي تدخل، واستقاء الانباء والافكار وتلقيها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية (المادة 19)».

«1 - لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.

2 - لا يجوز ارغام أحد على الانضمام الى جمعية ما (المادة 20)».

«1 - لكل فرد الحق في الاشتراك في ادارة الشؤون العامة لبلاده أما مباشرة وأما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً.

Scanned by DocumentScanner | Lufick

2 ـ لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.

3 ـ ارادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الارادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراح السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي اجراء مماثل يضمن حرية التصويت (المادة 21)»، ثم عبر العهد الدولي لحقوق الإنسان... ثم من خلال هذا التطور الهائل الذي حدث في فلسفة الحكم سواء في العالم الثالث، وتجاربه العديدة ـ مثل الهند، مصر والآن الجزائر ـ أو في المعسكر الاشتراكي... بعد بيروسترويكا ميخائيل جورباتشوف... التي جاءت بالجلاسنوست... أي الشفافية التي تعني أول ما تعني حرية القول والتعبير والنقد... حرية الصحافة والاعلام... وقد دخل الاتحاد السوفياتي بالفعل عصر حرية الصحافة والتعبير.

البدايات الأولى لصحافة التعدد بالجزائر:

اذا كانت الصحف في الجزائر والى غاية بداية عام 1989 تابعة للنظام الحاكم فإن دستور فيفري 1989 الذي يسمح بتشكيل جمعيات سياسية ويقر بحرية التعبير والنشر، قد سمح للاحزاب بامتلاك صحف خاصة بها، وحتى للاشخاص الاعتباريين، ولو أن قانون الاعلام الذي عليه تقع مسؤولية تنظيم هذا المجال لم يرض به أغلبية الصحافيين.

وقبل الخوض في التعددية الصحفية بالجزائر نشير الى أن النظام الحاكم كان هو الذي يشرف على الصحافة وبطريقتين:

1 ـ عن طريق الحكومة

2 ـ عن طريق الحزب.

1 ـ فعن طريق الحكومة: تشرف هذه على الصحافة عن طريق وزارة الاعلام. وهذه الصحف هي: الشعب، النصر، الجمهورية (وهي يوميات صباحية ناطقة بالعربية) والمساء، (يومية مسائية بالعربية) المجاهد (يومية صباحية بالفرنسية) وأفاق (يومية مسائية بالفرنسية).

وهناك: أضواء والمنتخب (رياضية) وكلتاهما أسبوعيتان بالعربية ثم الجزائر الأحداث (أسبوعية بالفرنسية).

Scanned by DocumentScanner | Lufick